

الترجمة الدينية وأثرها في النقد العقدي لدى علماء الإسلام

د. عمر القشيري

باحث في العقيدة الإسلامية ومقارنة الأديان-المغرب

مدخل:

فرض الاتصال الأول بأهل الديانات الأخرى على المسلمين ضرورة الاطلاع على عقائدهم، كما أن التنصيص في آيات عديدة على كون الإسلام جاء مكملًا للرسالات السابقة دفع بالمؤمنين بها إلى التماس الأدلة على صحة عقائدهم من خلال مدونات السابقين من أهل الكتاب، وقد اضطلع بترجمة ما يُحتاج إليه منها في هذا الطور من أسلم من اليهود والنصارى بالخصوص، وهو ما يفسر لنا كيف أن ترجمة النصوص الدينية إلى العربية كانت أسبق من غيرها من المدونات، ثم كان الطور الثاني حيث تطور البحث العقدي بفعل الجدل بين أهل المذاهب والأديان، وهو ما احتيج معه إلى تطوير الأدلة النظرية، فوجدت الثقافة العقلية اليونانية مذ ذاك مرتعا خصبا هيأه دعم الخلفاء لعمليات الترجمة، وقد شملت الترجمة مدونات أخرى في الطب والفلك وكذلك الفلسفات الشرقية، ثم أدخلت جميعا ضمن ما اصطلاح عليه "علوم الأوائل"؛ لكن الذي يهمننا في هذا المقام ما له تأثير واضح في النقد العقدي لدى المسلمين.

البواكير الأولى للترجمة الدينية في الحضارة الإسلامية:

ليس بالإمكان تحديد درجة إقبال المسلمين الأوائل على مدونات السابقين من أهل الكتاب؛ لكن المؤكد أن عددا من العرب أثناء البعثة النبوية كانت لديهم الأهلية لذلك، فقد ورد في ورقة بن نوفل أنه "كان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب"⁽¹⁾. ثم مخافة الدّس في الدين الجديد أمر النبي ﷺ بعض صحابته ﷺ بتعلم لغات المخالفين وكتبهم، مثال ذلك ما رواه الإمام أحمد عن زيد بن ثابت ؓ [ت

(1) رواه البخاري في كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله رقم 3.

45 هـ] قال: "ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي، قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حدقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب"⁽¹⁾. إلا أنه يصعب القول إن الترجمة في هذه المرحلة كانت لها أولوية في حركة التدوين عند المسلمين آنذاك؛ أو أنها تجاوزت نصوصا محدودة استُعين بها أساسا لأغراض جدلية، وقد كان للمسلمين الجدد من أهل الكتاب فضل تعريف غيرهم بمضامين تلك النصوص، ولأجل تمييزها تم تسميتها بما يدل على أصلها، فأطلق عليها "الإسرائيليات".

ثم توالى بعد ذلك الإقبال على كتب الأديان السابقة وترجمتها، فيذكر أن أول ترجمة عربية كاملة للتوراة كانت بأمر الصحابي عمرو بن العاص ﷺ [ت 43 هـ] زمن ولايته على مصر⁽²⁾، ونجد في حلية أبي نعيم أن مالك بن دينار [ت 127 هـ] أحد التابعين يقول: "قرأت في الزبور... ومكتوب في التوراة"⁽³⁾، وذكر النديم في الفهرست عن أحمد بن عبد الله بن سلام مولى هارون الرشيد [ت 193 هـ] أنه ترجم الصحف المنسوبة لإبراهيم عليه السلام والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة، من اللغة العبرانية واليونانية والصابئة وهي لغة أهل كل كتاب إلى اللغة العربية حرفا حرفا، ولم يبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف⁽⁴⁾. ثم يبدو أن بعضا من تلك النسخ المترجمة إلى العربية قد نالت حظوتها لما علا شأن الحضارة الإسلامية حتى فشا التعبد بها عند المؤمنين بها، فبعد أن نقل الجاحظ [ت 255 هـ] نصا من التوراة، قال عن يهود زمانه: "وكلهم على هذا اللفظ العربي مُجمِع"⁽⁵⁾.

(1) المسند 490/35 رقم 21618 قال محققه -الشيخ شعيب الأرناؤوط- إسناده حسن.

(2) ذكره ابن العبري في تاريخه، (ولم أجده في النسخة التي بين يدي -طبعة دار المشرق-) نقلا عن الفكر الإسلامي في الرد على النصارى: 409.

(3) الحلية: 2/376.

(4) الفهرست للنديم: 1/52-53.

(5) المختار في الرد على النصارى: 77.

وقد بقي من تلك الأعمال أجزاء من ترجمة حنين بن إسحاق [ت 260 هـ] للكتاب المقدس وكان معتمده في ذلك النسخة السبعينية المعتمدة لدى جل الكنائس حتى اليوم⁽¹⁾، ثم جاء بعده سعيد (أو سعديه) بن يوسف الفيومي [ت 330 هـ] أحد علماء اليهود وقد طُبعت ترجمته للأسفار الخمسة⁽²⁾. كل ما تقدم استنتج منه بعض الباحثين وجود ترجمات عربية أقدم، يقول المؤرخ اليهودي حاييم الزعفراني: "من الأكيد أنه سبق لليهود ومسيحيي الجزيرة العربية في عهود ما قبل الإسلام، أن عرفوا ترجمات وشروحا عربية خاصة بنصوصهم المقدسة بواسطة النقل الشفوي... ومن المؤسف حقا أن لا نعرف شيئا عن تلك الترجمات، ويظهر أنها صارت طي النسيان بعد عمل سعديه العظيم"⁽³⁾.

وفيا يتعلق بالثقافة اليونانية؛ فهناك روايات عديدة عن مبتدئ اتصال المسلمين بها، منها حكاية تُرجع ذلك إلى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية [ت 90 هـ] لما أحضر جماعة من فلاسفة اليونان وأمرهم بنقل بعض الكتب إلى العربية، ومنها من نسبت ذلك إلى الفرس حيث كانوا أسبق إلى الاطلاع عليها وترجمتها، ويُذكر عبد الله بن المقفع الفارسي [ت 142 هـ] بين من نقل علم المنطق إلى العربية⁽⁴⁾، واستظهر البعض أن الاتصال بالثقافة اليونانية فرع عن الاتصال بالمسيحية؛ حيث إن الأديرة آنذاك كانت مرتعا للثقافة اليونانية، فلم يُهمل روادها دراسة الفلسفة والطب إلى جانب الدراسة اللاهوتية⁽⁵⁾؛ لكن المتفق عليه أن الانفتاح على الثقافة اليونانية العقلية كان صدر الدولة العباسية، وبالأخص زمن الخليفة السابع عبد الله المأمون [ت 218 هـ]، وإن كان البعض يقرر أن أول من اعتنى بذلك منهم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور [ت 158 هـ]، حيث جاء في

(1) الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية: ترجمات عربية للكتاب المقدس.

<http://www.godrules.net/library/Arabian/topics/topic1488.htm>

(2) الفهرست للنديم: 55 / 1 (مع الهامش).

(3) يهود الأندلس والمغرب: 58 - 59.

(4) الفهرست للنديم: 139 / 2.

(5) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 89 / 4.

وصفه أنه "كان مع براعته في الفقه مُقدِّماً في علم الفلسفة وخاصة في النجوم محبا لأهلها"، ثم لما أفضت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد تم ما بدأ به جده الخليفة المنصور⁽¹⁾.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم وفهارس الكتب أسماء عدد ممن اضطلع بمهمة النقل عن اليونانية إلى العربية وأعمالهم⁽²⁾، ومنها بقيّة سلّمت حتى اليوم⁽³⁾.

الترجمة وعلم مقارنة الأديان لدى المسلمين:

قد كثر الجدل حول النصوص التي يوردها المؤلفون المسلمون نقلا عن التوراة والإنجيل، فهناك من أنكر رجوعهم إلى مصادرها بتاتا، وحجتهم في ذلك أن المسلمين كانوا يتخرجون من الأخذ المباشر من التوراة والإنجيل، متابعة منهم لما ورد عنه ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم من النهي عن ذلك⁽⁴⁾، وبالتالي -كما يقول أصحاب هذا الرأي- فإن "المجادلين المسلمين كان يعوزهم الرجوع إلى كثير من المصادر الأصلية للمسيحية، وتلك لم تكن ميسرة لهم لجهلهم باللغات السريانية والعبرية واليونانية... فلقد كانت النسخ المترجمة إلى اللغة العربية من العهدين القديم والجديد حتى القرن الخامس الهجري قليلة لقلة من يتحدث العربية من المسيحيين حتى ذلك الوقت!!... فكان اعتماد المسلمين في معرفة ما يتضمنه الكتاب المقدس على من أسلم من أهل الكتاب، أو على رؤسائهم الذين كانوا كثيرا ما يزودون المجادلين المسلمين بمعلومات غير محررة"⁽⁵⁾.

(1) أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي: 102.

(2) ينظر الفهرست للنديم: 2/ 144 فما بعد.

(3) ينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 4/ 92 فما بعد.

(4) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ﴿ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم" رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء. رقم: 7362.

(5) مناهج المجادلين المسلمين في نقد المسيحية لمحمد محمد حسانين: 30.

وقد يستدل أصحاب هذا الاتجاه أيضا بما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام" ... الحديث⁽¹⁾.

واستغل بعض المستشرقين شح المعلومات ليطنعوا في صلة المؤلفين المسلمين بالنصوص مباشرة ولو عن طريق ترجمتها، وقالوا عن المهتدين من اليهود والنصارى أنهم لم يكونوا من ذوي الدراية والاطلاع حال إيمانهم بدينهم الأول، كما استخدموا النصوص بصورة مشوهة عمدا لأغراض جدلية، باستثناء ابن حزم [ت 456 هـ] الذي فيما يبدو اطلع على ترجمة مسيحية⁽²⁾.

قال أحمد حجازي السقا: "وما أريد أن أقوله هنا، هو أن علماء المسلمين القدامى لم يستطيعوا الرد على اليهود والنصارى، وذلك لأنهم لم يصبروا على قراءة كتبهم ولم يتحايلا على علمائهم ليعرفوا أسرار الكتب، ولم يؤسسوا مدارس لتعليم اللغات الأصلية لكتب التوراة والإنجيل، وهي العبرانية والسريانية واليونانية، ولم يجعلوا كتب التوراة والإنجيل في مناهج التدريس في المدارس الإسلامية، ولو من باب العلم بالشيء، ولأنهم لم يفعلوا ذلك لم يستطيعوا في الزمن الماضي تفسير القرآن الكريم تفسيراً حسناً ولم يستطيعوا الرد على أهل الكتاب!!"⁽³⁾.

ولا أدري كيف غفل قائل هذا الكلام عن مدارس الترجمة التي أقيمت بأمر الخلفاء لنقل الثقافة اليونانية إلى العربية مع أنها أصعب تناولا وأبعد شقة مقارنة بالتوراة والإنجيل، وهما الكتابان المقدسان عند طائفة لا بأس بعددها تعيش في قلب الدولة الإسلامية، ولا ننس ورقة بن نوفل وقد تقدم ذكر ذلك.

قد يعترض البعض بأن هذا لا يعد دليلا على معرفة آخرين من العرب بالعبرانية ومعرفة مثل ورقة ابن نوفل بها مجرد استثناء⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء. رقم: 7361.

(2) الإسلام ونقد العهد القديم: 154-155، لمؤلفته المستشرقة اليهودية حافا لازاروس يافيه أستاذة الحضارة الإسلامية بالجامعة العبرية بالقدس.

(3) حوار الأديان في الأندلس: 8-9.

(4) الأسفار المقدسة قبل الإسلام لصابر طعيمة: 96.

والجواب: أن ذكر معرفته بها في الحديث جاء عرضاً، فلم يهتم المحدثون والإخباريون الأوائل بشكل عام بذكر من كان يعرف اللسان العبراني من العرب، كما نشير إلى أن ورقة كان بمكة وهي نسبياً معزولة جغرافياً وثقافياً عن مناطق انتشار المسيحية وعن أماكن تواجد اليهود، فمعرفته بالعبرانية في هذه البيئة تأكيد على وجود نسبة لا بأس بها من العرب النصارى تجيد هذا اللسان. ثم لم يبق الاطلاع على اللغات حكراً على غير المسلمين، وهو أمر كان شائعاً في مراكز أخرى للحضارة الإسلامية كالأندلس.

وأما النهي النبوي عن سؤال أهل الكتاب فكم له من نظير في مسائل أخرى سرعان ما استجازها المسلمون بزوال محاذيرها، كما ورد في أمره للصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم العبرانية⁽¹⁾.

ولنا شواهد تؤكد على أن المؤلفين المسلمين كانوا مدركين لمدى تطور النص التوراتي في مسيرته التاريخية، ومشكلاته المتعلقة بالترجمة. يقول الطوفي [ت 716 هـ]: "التوراة تقادم عهدها وحرقت في زمن بختنصر، وتعاورتها التغيرات والتنقلات من العبراني إلى السرياني إلى القبطي إلى العربي لفظاً وخطاً، وبعيد من مثل هذه التغيرات أن لا تخل بالمعاني، ولذلك صارت التوراة التي بيد النصارى تخالف التي بيد اليهود، والتي بيد اليهود تخالف بعضها بعضاً، كما أن أناجيل النصارى يخالف بعضها بعضاً"⁽²⁾.

وقال ابن تيمية [ت 728 هـ]: "والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً، كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين"⁽³⁾، ويقول في موضع آخر: "وقد رأيناها مختلفة في الألفاظ اختلافاً بيناً... فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير

(1) تقدم ذكر الحديث وتخرجه.

(2) الانتصارات الإسلامية في الرد على النصرانية: 63.

(3) الجواب الصحيح: 32 / 3.

من نسخ هذه الكتب، فإن عند السامرة نسخاً متعددة، وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني"^(١).

ويأتي من يؤكد من المؤلفين المسلمين على رجوعه لكتب المردود عليهم المقدسة عندهم وباللغة التي يتداولونها بينهم، وهو صاحب كتاب "مقامع الصلبان" أبو جعفر الخزرجي [ت 582 هـ]، فيقول في آخر كتابه: "وقد أوردت في هذه الرسالة ما فيه دلالات على سوء ما انتحلوه ولم أنص فيها من التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء إلا ما هو بأيديهم في وقتنا هذا، فإذا رأى القارئ نصاً من نصوصهم وقد أضافوا فيه... فليعلم أن ذلك تحريف" ثم يقول: "فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية ووقفت عليها بنفسي وطالعت منها بعض تفاسيرها وشافهتهم بها"^(٢)،

لا يمكن الاسترسال في ذكر الشواهد على الاتصال المباشر لدى عدد من النقاد المسلمين بنصوص التوراة والإنجيل، وقد قام بعض الباحثين باستقراء ما أُلّف في الرد على النصارى في القرون الأولى فانتهى إلى أن مؤلفاتهم مشتملة "على مجموعات هامة من النصوص الكتابية المنقولة بأمانة ودقة جديرتين بالتنويه"^(٣).

فلم الاستكثار إذًا على العقل المسلم أن يلم بلغات المخالفين مع التسليم -وبإعجاب- في نفس الوقت بما يذكره التاريخ عن المترجمين اليهود والنصارى وكيفية إقبالهم على اللغة العربية وآدابها؟^(٤).

الترجمة كمدخل لنقد علوم الأوائل والمتأثرين بها:

(١) المصدر نفسه: 2 / 450-451.

(٢) مقامع الصلبان: 196.

(٣) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى: 409-410.

(٤) وهذا ما انتهت إليه للأسف المستشرقة حافا لازاروس يافيه عند مقارنتها بين علماء المسلمين وعلماء اليهود. ينظر الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط: 183 فما بعدها.

استقر الرأي لدى فقهاء الإسلام أن للمسلم أن يترجم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم⁽¹⁾؛ لكن من المشهور أن ثلة من علماء الإسلام اتخذوا موقفا متشددا تجاه ترجمة علوم الأوائل خاصة المنطق والفلسفة، حتى إن بعضهم عدها مؤامرة استهدفت بالأساس سلامة العقيدة الإسلامية، وهو أمر تعززه بعض الروايات في ابتداء الترجمة، فنقل مثلا عن ابن أبي زيد القيرواني [ت 386 هـ] أن أول ما أحدث بنو العباس التماسهم من ملك الروم إمدادهم بكتب اليونان، ثم استجاب إلى تلبية طلبهم ملك الروم بعد إشارة من رجال الدين النصارى كون هذه العلوم ما دخلت في دين إلا أفسدته⁽²⁾؛ وبغض النظر عن المواقف المعارضة أو الموافقة على استجلاب علوم الأوائل؛ فإن الغاية هنا قصر الكلام على نقدهم لهذه العلوم من مدخل الآفات الناتجة عن الترجمة.

إن المشاكل المرتبطة بترجمة كتب المنطق والفلسفة أمر أدركه بداية علماء اللغة المسلمون، كون اللغات لا تنفك عن المعاني الكامنة في النفوس، ومن هنا كان تميز اللغات عن بعضها لا يقتصر على الألفاظ فقط؛ وإنما يشمل طرائق التعبير وترتيب الأفكار، وهو ما أجمله الإمام الشافعي [ت 203 هـ] بقوله: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس"⁽³⁾، ثم هناك من الآفات العائدة إلى المشتغلين بالترجمة فـ"اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتهما"⁽⁴⁾.

كل تلك المآخذ بنى عليها إمام النحاة أبو سعيد السيرافي حجته [ت 368 هـ] أثناء مناظرته لكبير المناطق في وقته وأحد المترجمين لكتبه متى بن يونان [ت 328 هـ] في دحض دعواهم ضرورة التحاكم إلى المنطق، ويمكن أن نلخص نقده في ثلاث نقاط:

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية: 3/ 306.

(2) مختصر الحجة على تارك المحجة: 661-663، صون المنطق والكلام: 39-41.

(3) صون المنطق والكلام: 48.

(4) البيان والتبيين: 1/ 368.

- المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم التّرك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم، ما شهد لهم به قبلوه، وما أنكره رفضوه؟

- بناء على ما سبق؛ من يدّعي ضرورة تعلم المنطق؛ إنما يدعو في الحقيقة إلى تعلم اللغة اليونانية، والترجمة عنها لا بد وأن تؤثر فيها، فكيف إذا توالى ذلك من لغة إلى أخرى، خصوصا وأن المنطق تحوّل بداية من اليونانية إلى السريانية، ثم أخيرا إلى العربية؟ فمن أين يجب أن نتخذ علما حكماً تُرجم على هذا الوصف؟

- وأخيرا يتساءل السيرافي عن فائدته إذا كان الثّقلة أنفسهم والمؤمنون به على عقائد شتى، ثم يتوجه لمتى بن يونان وكان نصرانيا بالقول: "هل بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد"؟⁽¹⁾

وإذا انتهى السيرافي إلى أن تلك العلوم على فرض بقائها في صورتها بعد ترجمتها لم تظهر فائدتها فيما لأجله نقلت إلينا؛ فإن الغزالي [ت 505 هـ] ذهب أبعد من ذلك إذ عدّ فساد عقائد البعض من نتائج الغلط في الترجمة، وهو من جملة ما يؤكد لديه تهافت مذهب الفلاسفة؛ حيث إن المترجمين لكلام أرسطو مثلاً "لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير وتأويل، حتى أثار ذلك أيضا نزاعا بينهم"⁽²⁾.

إن الخلل في العقائد الذي منشؤه الترجمة أمر أدركه في حينه بعض أكابر المشتغلين بعلوم الأوائل، فقد سئل أبو سليمان المنطقي السجستاني [ت 380 هـ] عما نُقل إليهم من كلام الفلاسفة مما يُكدر عقيدة التوحيد، فرد ذلك إلى الترجمة وتواليها من لغة إلى لغة، وهو ما أخل بالمعاني "إخلا لا يخفى على أحد، ولو كانت معاني اليونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع،

(1) المناظرة بطولها ذكرها ابن حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة: 107/1-128.

(2) تهافت الفلاسفة: 75.

وتصرفها الواسع، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة؛ كانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص⁽¹⁾.

لذلك كان أهم ما احترز منه علماء الإسلام بعد وعيهم بآفات الترجمة الوقوع فيما يحظر إطلاقه على الباري عز وجل، وهذا يشمل نصوص الكتاب والسنة أيضا، فيجوز مثلا أن يقال بأن لله تعالى يدا بالعربية، ولا يجوز بالفارسية⁽²⁾.

وفي المقابل نجد من الفقهاء من ذهب إلى ضرورة الاستعانة بالمنطق، حيث عد ابن حزم علما يوقف به "على الحقائق كلها ويميزها من الأباطيل تميزا لا يبقى معه ريب"⁽³⁾، وقد كان ابن حزم مدركا مع ذلك لآفات النقل من لغة إلى لغة، وهو ما حاول تلافيه عند تأليفه في المنطق، فذكر من بين الآفات التي وجدها عند نظره في كتب هذا الفن "تعقيد الترجمة فيها، وإيرادها بألفاظ غير عامية ولا فاشية الاستعمال"⁽⁴⁾، ورغم احترازه من الوقوع في ذلك؛ فإنه لما أراد شرح بعض المسائل تعلل عن غموضها بصعوبة الترجمة فكان مما قال: "واعلم أن اللغة العربية لم تُمكن العبارة فيها بأكثر مما ترى"⁽⁵⁾.

ثم إنه رغم ذلك كثر منتقدو ابن حزم لسببين: الأول يرجع فيما قيل لجرأته "على الفنون لا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك، وضل في سلوك المسالك، وخالف أرسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض في كتبه"⁽⁶⁾، والثاني راجع إلى الأول وهو سوء اعتقاده الناتج عن سوء أخذه، قال الذهبي: "أخذ المنطق وأمعن فيه فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء"⁽⁷⁾.

(1) المقابسات لأبي حيان التوحيدي: 150.

(2) بحر الكلام للنسفي: 105.

(3) مراتب العلوم: 4 / 72 (ضمن رسائل ابن حزم).

(4) التقريب لحد المنطق: 4 / 100 (ضمن رسائل ابن حزم).

(5) المصدر نفسه: 4 / 109.

(6) الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام: 1 / 137.

(7) تذكرة الحفاظ: 3 / 228.

تبقى الغاية الأهم لدى من انتقد المنطق والفلسفة من علماء الإسلام؛ وجوب فهم القرآن والسنة على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوره والتخاطب والاحتجاج والاستدلال؛ لا على مصطلح اليونان، فلكل قوم لغة واصطلاح، أما من أراد تخريج القرآن والسنة والشرعية على مقتضى قواعد المنطق لم يصب غرض الشرع البتة، فإن كان في الفروع تُسب إلى الخطأ، وإن كان في العقائد نسب إلى البدعة⁽¹⁾.

أما فيما عدا ذلك فشعار من جَوَّز الأخذ بتلك العلوم: "الحكمة ضالة المؤمن"، وفي ذلك يقول عبد الرحمن الأخضري [ت 983 هـ] في نظمه المشهور لما تحدث عن حكم الاستعانة بالمنطق:

وَالْخُلُوفُ فِي جَوَازِ الْإِشْتِغَالِ	بِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالِ
فَأَبْنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا	وَقَالَ قَوْمٌ يُبَغِّي أَنْ يُعْلَمَا
وَالْقَوْلُ الْمَشْهُورُ الصَّحِيحُ	جَوَّزَهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحُ
مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ	لِيَهْتَدِيَ بِهِ إِلَى الصَّوَابِ ⁽²⁾

(1) صون المنطق والكلام: 48-49.

(2) نظم السلم في المنطق (بشرح المؤلف): 39-40.

خاتمة:

بعد الانفتاح الكبير على فلسفات الأمم وثقافات إبّان الخلافة العباسية في طورها الأول، ثم الهجوم عليها ومجافاتها في طورها الثاني حتى قيل إن الفلسفة بعد نقد أمثال الغزالي لها لم تقم لها بعد في المشرق قائمة؛ حدث أن استقر الأمر بعد ذلك على ما يمكن تسميته بعملية "تبيئة" لهذه العلوم، حيث تم إخضاعها لمقتضيات الشريعة الإسلامية، وقبول الاستعانة بها فيما لا يؤدي إلى معارضة المبادئ الإسلامية الثابتة. وفيما يخص المدونات الكتابية لليهود والنصارى، فإن التعامل معها بدا حذرا أول الأمر، ثم نما الإقبال على مدارسها ونقدها شيئا فشيئا، حتى تكونت بالفعل مدرسة نقدية رائدة في الأندلس ظهر أثرها فيما بعد في المناهج النقدية في أوروبا. وواضح أن كل ما تقدم لم يكن ليحصل لولا أن المسلمين أقبلوا على مدارس تلك المدونات في لغاتها الأصلية.

لائحة المصادر والمراجع:

- ✓ أبجد العلوم، المؤلف: صديق حسن خان القنوجي، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة 1 - 1423هـ/2002م.
- ✓ الأسفار المقدسة قبل الإسلام، المؤلف: صابر طعيمة، عالم الكتب-بيروت، الطبعة 1- 1985.
- ✓ الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، المؤلف: حافا لازاروس يافيه، ترجمة: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة، 1429هـ/2008م.
- ✓ الإمتاع والمؤانسة، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة-بيروت(د.ت).
- ✓ الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، المؤلف: نجم الدين الطوفي، تحقيق: أحمد حجازي السقا- مكتبة النافذة (د.ت).
- ✓ بحر الكلام، المؤلف: ميمون بن محمد النسفي، دراسة وتعليق: ولي الدين محمد صالح الفرفور، دار الفرفور-دمشق، الطبعة 2-1421هـ/2000م.
- ✓ البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر-بيروت، الطبعة 4 (دون تاريخ).
- ✓ تاريخ الأدب العربي، المؤلف: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف-القاهرة، الطبعة 5 (دون تاريخ).
- ✓ تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة 1- 1419هـ/1998م.
- ✓ تهافت الفلاسفة، المؤلف: أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف-القاهرة، الطبعة 3، 1958.
- ✓ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: أبو العباس أحمد ابن تيمية، تحقيق: جماعة، دار العاصمة-الرياض، الطبعة 2 - 1419هـ/1999م.

- ✓ حلية الأولياء، المؤلف: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة 1-1409هـ/1988م
- ✓ حوار الأديان في الأندلس، المؤلف: أحمد حجازي السقا، مدبولي الصغير (دون تاريخ ومكان النشر).
- ✓ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المؤلف: ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة 1-2000.
- ✓ رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، الطبعة 2، 2007.
- ✓ شرح السلم في علم المنطق، المؤلف: عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف-بيروت، الطبعة الأولى-1420هـ/2000م.
- ✓ الصحيح، المؤلف: أبو عبد الله البخاري، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة 1-1423هـ/2002هـ.
- ✓ صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، المؤلف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية-القاهرة، الطبعة الأولى-1389هـ/1970م.
- ✓ الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية ق4هـ/10م، المؤلف: عبد المجيد الشرفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-تونس، 1986.
- ✓ الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، عناية: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان-لندن، طبعة 1430هـ/2009م.
- ✓ مجموع الفتاوى لابن تيمية، تقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة، 1416هـ/1995م.
- ✓ المختار في الرد على النصارى، المؤلف: الجاحظ، دراسة وتحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل/ مكتبة الزهراء-بيروت/ القاهرة-ط1-1411هـ/1991م.

- ✓ مختصر الحجة على تارك المحجة، المؤلف: إبراهيم بن نصر المقدسي، تحقيق: محمد إبراهيم هارون، أضواء السلف-الرياض، الطبعة 1-1425هـ/ 2005م.
- ✓ المسند، المؤلف: أحمد بن حنبل، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة 2-1420هـ / 1999م.
- ✓ المقابسات، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار المعارف-تونس، الطبعة 1-1991.
- ✓ مقامع الصلبان، المؤلف: أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية-تونس، 1975.
- ✓ مناهج المجادلين المسلمين في نقد المسيحية، المؤلف: محمد محمد حسانين، مجلة المسلم المعاصر- العدد 5/1987، بيروت.
- ✓ الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية: ترجمات عربية للكتاب المقدس.
<http://www.godrules.net/library/Arabian/topics/topic1488.htm>
- ✓ يهود الأندلس والمغرب، المؤلف: حاييم الزعفراني، ترجمة: أحمد شحلان، نشر مرسوم - الرباط، 2000.